مخطوط

عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد

د. محمد بن سعد الشويعر

كنت قد استعرضت هذه المخطوطة على صفحات مجلة الدارة في حلقات، كانت أولاها في العدد الأول من السنة الخامسة ربيع الثاني عام ١٣٩٩هـ مارس عام ١٩٧٩هـ لمؤلفها وجامعها عبدالرحمن بن محمد الناصر الذي ولد بالمجمعة عام ١٣١٥هـ وتوفي بالرياض عام ١٣٩٠هـ.

ومن الصدف أن يكون عمره مقارباً لعمر عثمان بن بشر المؤرخ المعروف صاحب عنوان المجد في تاريخ نجد، وبينهما قرابة قرن من الزمان في الولادة ويمكن وضع المقارنة بينهما فيما يلي:

ابن بشر: ولدعام ١٢١٢هـ وتوفي عام ١٢٩٠هـ وعاش في جلاجل واسم كتابه عنوان المجد.

وابن ناصر: ولد عام ١٣١٥هـ وتوفي عام ١٣٩٠هـ وعاش في المجمعة واسم كتابه عنوان السعد والمجد، أما تقارب عنوان الكتاب واسمه لكل منهما فواضح فقد زاد الثاني على اسم الأول كلمة السعد وتبعها زيادة في الكلمة المسجوعة المرادفة.

عندما قال: كتاب، عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد.

وجلاجل والمجمعة بينهما تقارب في المسافة التي قد تزيد على ٢٥كم بشيء يسير، وترابط في العادات والتقاليد، وتزاوج بين الأسر، وتلازم في أمور الحياة. وجلاجل أقرب بلدان سدير إلى المجمعة قاعدة المنطقة.

كما أن المحرك لتاريخ عبدالرحمن الناصر، كما يحب أن يسمى نفسه على طرة الكتاب هو الشيخ عبدالله العنقري، الذي كان قاضياً فيهما فيجلس هنا أياماً وهناك أياماً وله بيت معروف حتى الآن في كل واحدة من هاتين البلدتين.

وفي استعراضي في الحلقات الماضية، كان حديثي منصباً على الجزء الأول الذي يحمل رقم ٩٥٢ في مكتبة أرامكو بالظهران. ورجحت بالقرينة التى جاءت في أخره أن هذا الجزء يتبعه جزء أخر عندما قال في آخر صفحة. قد تكون ملحقة به عرضاً العبارة التالية والتي جاءت مصورة في ص ١٣٩ من عدد الدارة الأول من السنة الخامسة ربيع الثاني عام ١٣٩٩هـ وهي كمايلي: «بسم الله الرحمن الرحيم مساعد بن عبدالرحمن لاحق خير إن شاء الله.. أرسلنا الثاني وهو الذي جمعناه أولاً ولا يخلو وسنصلحه بحول الله وقوته.. عبدالرحمن بن ناصر».

ولحرصي الشديد فقد اتصلت بعدة جهات كنت أتوقعها مظنة ذلك الجزء، وسألت سمو الأمير مساعد بن عبدالرحمن ولم أقف على هذا الجزء، أو أجد عنه خبراً.

وسموه حفظه الله ممن يحب العلم ويهتم به ويشجع راغبيه. وفي حديثي هذا اليوم سيكون عن الجزء الثالث أمدني به أحد الإخوة الفضلاء بعد أن عرف حرصي على تتبع كل ماله صلة بتأريخ بلادنا والتعريف به، ولم يشأ أن أذكر اسمه مقروناً بهذه المخطوطة فجزاه الله خيراً.

ومن هذا فإن حديثنا السابق عن هذه المخطوطة قد جاءه اضافات جديدة بعد هذه المعلومات التي سنوردها مختصرة في هذا الحيّز.

فسيكون لدينا معلومات جديدة حول:

١ ـ هذا الكتاب الذي أصبح أربعة أجزاء، بدل الشك في الحصول على الجزء الثاني كما قال المؤلف نفسه في الجزء الثالث الذي بدأه بعد

المقدمة بولادة الإمام فيصل بن عبدالعزيز ثم ذكر بعضاً من أحداث سنة ١٣٣٩هـ وهي الخاصة بالملك فيصل رحمه الله.
وختمه بالعبارة التالية في ص١٨٤ وص١٨٥: آخر الجزء الثالث من كتاب عنوان السعد والمجد فيم استظرف من أخبار الحجاز واليمن ونجد، ويتلوه الجزء الرابع: أوله وفيها سار الإمام إلى القاهرة تلبية لدعوة من الرئيس جمال عبدالناصر وهو يشتمل على معظم سيرة صاحب الجلالة فيصل بن عبدالعزيز - حفظه الله وأمد في عمره بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

٢ - أن المؤلف يكتب الأحداث التي يمر بها أولاً بأول لأنه معاصر لها ويستقيها من مصادرها ومن وسائل الإعلام التي توفرت في وقته.

٣ - أن الفترة الزمنية التي تضمها دفعا الجزء الثاني الذي لا يزال مفقوداً هو ما بين عام ١٣٣٩هـ حيث ختم كتابه في جزئه الأول بسيرة ووفاة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ الذي قال عنه وفيها وهو يعني عام ١٣٣٩هـ. توفى الإمام العالم الناسك الورع الزاهد شيخ الإسلام. مفتي الديار النجدية الشيخ عبدالله بن الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن حسن في بلد الرياض.

وعام ١٣٨٤هـ حيث بدأ بأحداثها في ص٨ عندما قال وفيها دخلت السنة الرابعة والثمانون بعد الثلاث مئة والألف. وقد جعل مقدمة لذلك نبذة عن حياة الملك فيصل ميلاده وأعماله.

٤ - أن الجزء الرابع يبدأ بعام ١٣٩٠هـ أو بنهاية عام ١٣٨٩هـ لأن آخر خبر ذكره هو عن وفاة الشيخ محمد إبراهيم رئيس القضاة في المملكة في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك في يوم الأربعاء.

٥ - أنني أشك في استكمال الجزء الرابع وظهوره فقد يكون الموت

عاجل المؤلف قبل تدوين المعلومات. وقد يكون كتب منها شيئاً يسيراً، وما ذلك إلا أن المؤلف رحمه الله قد انتقل للدار الآخرة في عام ١٣٩٠هـ، ولم نعرف ما إذا كان في أولها أم آخرها لكن على العموم فإن الفترة الزمنية بين نهاية الجزء الثالث ووفاته لا تسمح في الغالب بتدوين معلومات تستكمل جزءاً رابعاً. ولعل ما يوجد منها ينبيء عن آخر ما كتب المؤلف. مع أنه وعد بأن تكون عن سيرة الملك فيصل رحمه الله.

٦ - أن المؤلف حسب الجزء الثالث اضاف إلى كتابه شيئاً جديداً عندما أدخل في التسمية اسم اليمن، عندما قال فيم استظرف من أخبار الحجاز واليمن ونجد.
بل إننا عندما نقرأ في صفحات كتابه نراه يزداد توسعاً فيذكر كثيراً من الأحداث التاريخية كالوصول للقمر في عام ١٣٨٩هـ، وكذلك في نفس السنة إحراق اليهود للمسجد الأقصى وغير ذلك.

وهذا يدل على أنه زاد معلومات عن مناطق لم يكن حدّدها في عنوانه. والأوائل قالوا: الكتاب يقرأ من عنوانه.

وصف المخطوطة وشخصية المؤلف فيها:

حاول المؤلف في هذا الجزء من مخطوطته أن يسلك طريقاً تنظيمياً تجديدياً، وفي هذا اختلاف بسيط عما سلكه في الجزء الأول ويبرز هذا في مثل:

١ - تنظيم الطرة بأن جعل الكتابة في وسط إطار جوانبه باللون الأحمر وذلك بأن جعل هوامش تختلف عرضاً من صفحة لأخرى، وفي الطرة كانت هذه الهوامش بعرض ٢,٥سم من الجانبين بعرض الصفحة، وبالنسبة للطول فبـ ٢,٥سم من أعلى، و ٣,٥سم من أسفل.
ثم جعل اسمه واسم الكتاب والجزء في شكل ثلاثي مقلوب، وجاء في سبعة اسطر تتناقص الكلمات في كل سطر حتى كان السطر السابع «ناصر» فقط.
وقد ميّز هذا المثلث، وفصل

السطور بعضها عن بعض بخطوط حمراء. وكتبت العبارة التالية داخل هذا المثلث:

الجزء الثالث من كتاب عنوان السعد، والمجد فيم استظرف من أخبار الحجاز واليمن ونجد بجمع الفقير إلى رحمة ربه عبدالرحمن بن الشيخ محمد بن عبدالله بن ناصر وقد أضيفت بحبر مغاير وخارج هذا المثلث بعد ناصر: بن حماد بن شبانه بن محمد. ويبدو أنه بخط يده وإن تغير لون الحبر وسن القلم. وفي

أسفل هذا المثلث وضع خطين متوازيين بعرض الصفحة. وبالقلم الأحمر وجعل بينهما العبارة التالية، والتي تعتبر تكملة لاسمه السالف ذكره: «النجدي الحنبلي غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه بمنه وكرمه». وهو بهذا قد اقتفى آثار المؤلفين القدامى، ويحاول ترسم خطاهم. والإطار الذي وضع في الصفحة الأولى والطرة سار عليه حتى صفحة ١٧٦ ثم ترك الباقي ولم يعمله.

٢ ـ ويبدو أنه لم يخط ذلك الإطار إلا بعد أن انتهى الكتاب كناحية تجميلية يريدهالكتابه لأن كثيراً من الكلمات كانت تقع في نفس الخط أو تكون خارجة عنه، ولو أنه عمل ذلك قبل تدوين الكتابة لحجزته عن الزيادة. ولاتفقت سطور الصفحات عدداً ترقيم الكتاب لم يكن من وضع المؤلف لأنه كتب بقلم رصاص، أما منهجية المؤلف فهي طريقة القدامى في كتابه أول الورقة التالية في هامش نهاية الورقة، السابقة.

٣ ـ حاول في المقدمة أن يضع تنميقات للكتابة، وذلك عندما بدأ في المقدمة بوضع علامات تقوم مقام علامات الترقيم المعهودة، كفواصل للكلام، وبالقلم الأحمر. ولكن صعب عليه ذلك بعد نصف صفحة فقط من المقدمة، التي حظيت بنوع من السجع، مألوف أمثاله لدى المؤلفين السابقين لمؤلفنا هذا.

ولو استمر في ذلك لبرز في هذا الجزء بطريقة تجديدية، ومهما يكن من أمر فإنه استفاد من طريقة التأليف وخرج جزؤه هذا

بصورة أجود من الصورة التي خرج بها الجزء الأول.

وفي بقية الصفحات يضفي سمات جمالية بالقلم الأحمر غير ثابتة.

٤ - يضيف شيئاً جديداً في مقدمته لهذا الجزء وذلك عن سبب التأليف وعن انتهاء الجزأين الأول والثاني. كما تلافى كثيراً مما لاحظناه عليه في الدراسة السابقة. ونتركه يتحدث في مقدمة هذا الجزء فيقول بعد البسملة، وبه استعين ولا حول ولا قوة إلا بالله: الحمد لله ذي العزة والبقاء، والعظمة والكبرياء، والمجد والثناء، تعالى عن الأنداد والشركاء، وتقدس عن الأمثال والنظراء، لا تدركه الأبصار، ولا تغيره الأعصار، وكل شيء عنده بمقدار، أحمده معترفاً بنعمة، وأشكره متزيداً في كرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة من عذاب الجحيم، والمنازل العالية في جنات النعيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء، وأكرم من مشى تحت أديم السماء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الدجا، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم العرض والجزاء، ما أمطر غمام، وسجع حمام، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى مولاه، راجي عفوه ورضاه، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن ناصر النجدي الحنبلي، غفر الله ذنوبه، وستر في الدارين عيوبه، قد كمل بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الأول والثاني من كتاب عنوان السعد والمجد، الذي أمرنا بجمعه وترتيبه صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود، بلّ الله ثراه، وجعل جنة الفردوس مقره ومأواه، وهذا أوان الشروع في الجزء الثالث إن شاء الله وبه الثقة.

بينما نراه في الجزء الأول قد جعل السبب هو إرشاد وتوجيه من شيخه عبدالله العنقري.

٥ - **ثم بعد ذلك قال**: مقدمة ذكر نشأة الإمام فيصل بن عبدالعزيز. واستعرض في ذلك حياته وأعماله، وقد استغرق منه ذلك ثلاث ورقات. وفي ختام هذه المقدمة نراه يعطف على تأليفه وما وصل إليه في الأجزاء السابقة، وعن صعوبة التأليف فيقول في الورقة الرابعة وفي نهاية الصفحة السابعة، وبداية الصفحة الثامنة ما يلي:

ثم أعلم رحمك الله أن التصنيف أمر صعب، لا يدرك الا بمشقة وتعب، وصاحبه متعرض لألسنة الحاسدين، وقفشات الطاعنين متحمل من ذلك أمراً مراً، متكلف إلى مرتقى صعباً وعرا، وأيضا فلابد للمتصدي لهذا الفن، أن يكون ذا فهم وافٍ، وذهن صاف، وناقل شاف، وحفظ واتقان، ومرشد وزمان، وغير ذلك مما لا يخفى.

ومع اعترافي بالقصور واعتمادي على الله في جميع الأمور، فقد جاء بحمد الله كتاباً فريداً ومجموعاً مفيداً، وافياً بالمراد كافياً للمرتاد، محتوياً على ما يعين ذكره، من سيرة إمامنا صاحب الجلالة فيصل بن عبدالعزيز وإخوانه الكرام وأولاده وولي عهده ومشائخه وأمرائه، ورؤساء القبائل الموصوفون بالعدالة والإنصاف وبالتقى والصلاح، مع الايجاز والترتيب، والتهذيب والتقريب، والاحتراز مما يعيب، فالله يسهل المراد، إنه كريم جواد، وإياه أسأل أن يثيبني عليه، جميل الذكر في الدنيا، وجزيل الأجر في الآخرة، راجياً ممن نظر في كتابي من عالم او أديب، أن يقيل عثرتي، وأن يسد من فضله خللي، ويصلح ما طغى به القلم، أو قصر عنه الفهم، فإن الإنسان محل الخطأ والنسيان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم قال دخلت السنة الرابعة والثمانون بعد الثلاثة مائة والألف.

٦ ـ ومن هذه المقدمة نلمس التحول في شخصية مؤلفنا، وتجدد المعلومات عنده، ونظرته العامة للتأليف ونلمس أيضاً آثار هذه المقدمة في هذا الجزء مثل:

أ ـ شمولية التأليف وذكر السبب المغاير للسبب الأول وإن كان يمكن الجمع بينهما.

ب ـ الاختصار في إيراد المعلومات.

جـ ـ تطرقه أحياناً للمصادر التي يستقى منها كالراديو والصحف.

د ـ عدم الشطب في المعلومات التي يورد، تلك السمة التي كانت عنده في الجزء الأول مما جعل فيلبي وغيره يتهمه

بعدم التركيز أو بتغيير المعلومات.

هـ - أسلوب التنظيم والترتيب واضح عنده في هذا الجزء.

و - محاولة تحسين الخط وتنميقه.

ز - وضع هوامش تقريبية للموضوعات المهمة بمثابة عناوين.

ح - التصحيح في الحاشية بما يعرف عند المؤلفين القدامى بعلامة التمويق للتصحيح والتصويب.

وهذه كلها أمور تحسينية تدل على سعة أفق المؤلف مع أنه في آخر عمره وقد تجاوز البعيد.

حيث شعر مع ذلك بأن عمله لايزال فيه خلل بحيث يطلب ممن يطلع عليه أن يستر ما يظهر له من عيب.

وشعر أيضاً بقرب أجله حيث يجعل الدار الآخرة أمام عينيه ويطلب المغفرة من الله والدعوات من القراء.

وفيه سمة الكاتب المتزن من التواضع، وعدم ادعاء الكمال، أو تحسين الطريقة التي سلك، ومؤلفنا من هذا النوع، الذي لا يسعنا إلا أن نقدر جهده ونشكره على عمله وندعو له بالمغفرة والقبول.

٧ - تختلف اسطر صفحات هذا الكتاب من عشرين سطراً إلى واحد وعشرين أو اثنين وعشرين. وقد تصل إلى ثلاثة وعشرين أو أربعة وعشرين سطراً.

فهي ليست على وتيرة واحدة فمرة يرصف الأسطر وأخرى يباعدها.

ولذا لا يصلح أن نعطي معدلاً ثابتاً عن عدد أسطر صفحات هذا الكتاب. ولكن معدل السطر الواحد هو سبع كلمات.

٨ - يهتم بنقل الكلمات الترحيبية من ضيوف المملكة ومن قادتها في الحفلات والمناسبات ثم ما يلقى أمامهم أيضاً من كلمات وقصائد. ومن أبرز ذلك كلمات الملك فيصل في الداخل والخارج.

كما يهتم بأخبار السيول التي تنزل على أنحاء المملكة وأثرها على حياة الناس وهذه من الأمور التي تهم كل مواطن لمساسها بالحياة

اليومية لـه، ولما للمطر من أثر في حياة كل فرد فهو رمز الحياة لأبناء هذه الصحراء الذين يتطلعون إليه في أيـام معينـة هـو وقت الشتـاء ويتباشرون بنزوله هنا وهناك.

وبعد:

فهذه لمحة عن هـذا الكتاب الـذي ضم بـين دفتيه أحـداث ست سنوات فقط من تاريخ بلادنا الغـالية، نـرجو أن نرى ما كتب من الجزء الرابـع كما قال ولو كان قليلاً، فلعل فيه مـا يفيد القارىء والمتتبـع. فمـا يعتبـر الآن عالقاً بالإذهان، ومعـروفاً لـدى بعض النـاس، فهـو بعـد سنـوات يصبـح معلـومـات تـاريخيـة تتطلـع إليهـا النفـوس، وتتشـوق إليهـا همم رواد المعرفة.

ويبرز هذا في المتعة باستـذكار مـا نجـد لـدى المؤلف مـن معلـومـات رصدها عن فترة زمنية قـريبة لـدينا، لكن الذاكرة بـدأت تنسى ما علق بهـا والشاعر العربي يقول:

العـلم صيـد والكتـابـة قيـده
قيِّـد صيـودك بـالحبـال المـوثقـة

ولـذا فهو قـد حرص عـلى هـذا القيـد، برصده الـدقيق والجليل في سفـره هذا، ولكنه يحتاج إلى تمحيص وتدقيق.

ومن الصدف العجيبة في هذا الكتاب أن يختم المؤلف الجـزء الأول بنبذة عن حيـاة الشيـخ عبـدالله بن عبداللطيف حيث تـوفي في عـام ١٣٣٩هـ، وهي آخـر السنـوات التي رصد أحـداثها في هـذا الجزء، وآخر مـا ذكر من معلـومات هي سيرة هذا العالم الجليل القدر.

وفي الجزء الثالث أن يختمه بنبذة عـن حيـاة الشيـخ محمـد بـن إبراهيم بن عبداللطيف حيث توفي في عـام ١٢٨٩هـ، وهي آخـر السنـوات التي رصـد أحـداثهـا أيضـاً في هـذا الجزء، وآخر ما ذكر من معلومات هي سيـرة هذا العـالـم بمكانتـه العلميـة ومنزلته الرفيعة فيه. فرحمهما الله.

وهـذا شيء بطبيـعـة الحـال لم يقصده، أو يتعمد إثباته ولكنـه جاء عـرضاً بحيث ختم كـل جـزء بحيـاة عـالـم لـه أثـره الكبيـر في المملكـة وقضائها.

والله المستعان على كل حال،،،

د. محمد الشويعر